القصة القصيرة في قطر
نشأتها ، وأعلامها ، وملامحها الفنية

تأليف

دكتور
محمد عبد الحكم عبد الباقي
مدرس الأدب الحديث
بجامعتى أسيوط وقطر

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا القاهرة ت ٣٩٠٠٨٦٨

« بسم الله الرحمن الرحيم »

تصدير

تعتبر دراسة الدكتور / محمد عبد الحكم عن القصة القصيرة في قطر – وربما تبقى لفترة طويلة – واحدة من أهم الدراسات عن فن القصة القصيرة في البيئة القطرية ، لأن ما كتب في هذا الموضوع قليل ، بل نادر ، وهذا ما شجع الدكتور محمد عبد الحكم على اختيار هذا الموضوع برغم وعورة الطريق . وقد قرأت قسما من هذه الدراسة حين كنت أستاذا بجامعة قطر ، ورأيته يبذل جهدا كبيرا في جمع واستقصاء المادة القصصية من الدوريات ، وهو جهد يستحق التقدير ، لأن مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر حاول الجمع والاستقصاء ولكنه فاته الكثير الذي استدركه الدكتور محمد عبد الحكم .

والباب الأول في البحث يتناول إرهاصات القصة القصيرة في قطر وتداخل المفاهيم وأعلام القصة تحت عنوان " نشأة القصة القصيرة في قطر " . وقد نختلف مع الباحث أو نتفق في هذه التفريعات ، وقد كنت أفضل أن يكون عنوان الباب تطور الحركة القصصية في قطر، ولكن الباحث رأى أن الزمن الذي نشأت فيه القصة القصيرة في قطر وتطورت زمن قصير نسبيا ، فآثر الاهتمام بأعلام القصة ، ومن خلال الاهتمام بالأعلام يمكن طرح اتجاهاتهم الفنية، وبالتالي يمكن أن نضع أيدينا على بعض العلامات على الطريق.

أما الباب الثاني فهو يتناول السمات الفنية من حيث الحدث واللغة والبناء والشخصية، وكلها محاور شديدة الأهمية تناولها الباحث في صورة قضايا مما عمق الدراسة ، فقضية العامية والفصحى مطروحة وللباحث فيها رأي ، وأنماط الشخصية مطروحة وللباحث فيها أكثر من رأي ، وبناء القصة القصيرة مطروح مع الاهتمام بنهايات القصة وصور هذه النهايات، وأنواع الأحداث مطروحة وللباحث فيها تصنيفات .

وإذا كان الباحث قد خرج بمجموعة نتائج فالحقيقة أن هناك نتيجتين تستحقان الوقوف عندهما . الأولى تتعلق بصورة المرأة ، فهناك ثلاث صور ، صورة المرأة المقهورة ، وهي نتيجة ميراث طويل من التقاليد ، ثم المرأة الثائرة وهي مرحلة غضبية بعد أن تعلمت الفتاة

ورفضت بعض العادات الموروثة مثل الزواج من ابن العم أو عدم السفر في طلب العلم ، ولم تكن الفتاة تستطيع التعبير عن رفضها إلا بالثورة من أجل التغيير ، وتبدأ المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الفتاة القادرة على المناقشة والإقناع . وليس معنى ذلك أن هذه مراحل تاريخية متتابعة واضحة في القصة وفي الحياة الاجتماعية ، ولكنها مع تداخلها يمكن للباحث المدقق أن يراها وسط الإيقاع السريع للحياة في قطر والخليج بصورة عامة .

وأما النتيجة الثانية ، فقد أشار إليها الباحث وإن لم يتوقف عندها طويلا ، فقد بدأت القصة القصيرة في قطر متأثرة بالقصة العربية في مصر ، والواقع كما أشار الباحث ، أن الحياة الأدبية في الخليج قد نهضت متأثرة بمجموعة عوامل وكان من الطبيعي أن تقتدي بالحياة الأدبية في مصر فتأثير شوقي وعلى محمود طه ونجيب محفوظ وغيرهم واضح ، ولكن المهم أن الحركة الأدبية في الخليج قد استطاعت خلال النصف الثاني من القرن العشرين أن تثبت وجودها ، خاصة في الشعر وفي القصة القصيرة ، وأن تصبح رافدا أساسيا من روافد التيار الأدبي في الوطن العربي . وعلى الرغم من المذاق الخاص لهذا الرافد ، بحكم البيئة ، إلا أن القارىء المدقق ، يجد الحياة الأدبية في الوطن العربي تتناسق في منظومة واحدة ، وايقاع متناغم ، كأنها تصدر عن قلب واحد .

وأحب أخيرا أن أتوقف عند ملاحظة الباحث الذكية التي اختتم بها دراسته والخاصة بفتور الحماسة التي وضحت ، وهدوء النشاط الذي كان ملحوظا منذ عقد من الزمان . والحقيقة أن القصة القصيرة بنت الدوريات نشأت في حضنها ، فعندما توقفت بعض الدوريات عن الصدور وعلى رأسها مجلة " الدوحة " كان ذلك متوقعا ، فنشاط الحركة الأدبية والثقافية في هذا العصر ، يرتبط إلى حد كبير بوجود الدوريات المتخصصة التي تثري بكبار الكتاب ، وتحتضن البراعم الواعدة .

وهذه الدراسة تعتبر إضافة للمكتبة العربية ، لأنها تتناول موضوعا ما يزال الطريق فيه وعرا ، وهي دراسة من متخصص سبق له أن تناول " السمات الفنية في القصة القصيرة عند نجيب محفوظ " تناولا موفقا ، ولم يبدأ الباحث دراسته إلا بعد أن استقصى القصص القصيرة في قطر حتى تكون أحكامه أقرب إلى الدقة .

أ.د. ماهر حسن فهمي

« بسم الله الرحمن الرحيم »

مقدمة :

ارتبطت البدايات القصصية في قطر بالصحافة ارتباطاً وثيقاً كما ارتبطت ملامحها واتجاهاتها ومراحل تطورها بالظروف السياسية، حيث أثمر الاستقلال ١٩٧١ مزيداً من الانتعاش الاقتصادي الذي انسحب بطبيعة الحال على النواحي الاجتماعية والفكرية والأدبية فبزغت الجمعيات والنوادي الثقافية وسطع نجم التعليم وأصبح متاحا لذوى الجنسين ، كما كان للجامعة دور بارز في تحريك هذه الأنشطة الثقافية ومتابعتها ورعايتها .

وأخذت الجامعة على عاتقها عبء تطوير ونشر الحركة الثقافية من خلال هيئاتها المعنية، ومن خلال مركز الوثائق والدراسات الإنسانية الذي ضم مجموعة من الوحدات التى تتبنى العديد من مناهج التطوير والترقي للبحث العلمي .

كما أدى خروج الفتاة القطرية إلى حقل التعليم ودخولها الجامعة، وإسهاماتها المتنوعة في المجتمع القطري - سواء بالكتابة في الصحف والمجلات أو ببروز دورها في الجمعيات النسائية وتقلدها الوظائف المناسبة - إلى مزيد من التلاحم العضوى بين أفراد المجتمع الذي نبذ التزمت والتعسف حتى غدا واحداً من المجتمعات التي تسعى سعيها إلى استخدام أحدث السبل العلمية المتطورة في بناء الإنسان القطري.

ولايمكننا أن نغفل أيضا دور البعثات الخارجية التي منحت الشباب القطري فرصة الحصول على درجات الماجستير والدكتوراة إضافة إلى البعثات التي أتاحتها دولة قطر ممثلة في وزاراتها المختلفة لشبابها للحصول على الدرجات العلمية من الجامعات الأجنبية ، وكيف أدى المبعوثون دورهم بعد عودتهم في الخروج من العزلة ومسايرة الآداب الأخرى في أشكالها المستحدثة .

وقد سعوا بدافع الحماس والانتماء إلى كتابة بعض القصص القصيرة التي جمع بعضها في صورة مجموعات قصصية على النحو الذي رأينا في مجموعتي بنت الخليج ولقاء في بيروت للكاتب يوسف نعمة ، ومجموعة أنت وغابة الصمت والتردد للكاتبة كلثم جبر ، ومجموعة المجنونة للكاتبة بشرى ناصر ، ومجموعة بائع الجرائد للكاتبة نورة آل سعد ،

والبعض الآخر كان في صورة منتقيات لقصص بعض الكتاب مثل كتاب ٧ أصوات في القصة القطرية الحديثة الذي أشرف على نشره قسم الدراسات والبحوث بإدارة الثقافة والفنون . أما بقية القصص الأخرى وهي كثيرة ومتنوعة فقد اكتفى أصحابها بنشرها في الصحف والمجلات الرسمية.

وبرز في كتابة القصة القصيرة عدد كبير من الكتاب والكاتبات منهم ناصر صالح الفضالة، وإبراهيم صقر المريخي ، وخليفة الكبيسي، وسامي المناعى ، ويوسف نعمة وخالد نعمة وعبدالله الحسينى ، وكلثم جبر ، وأم أكثم ، ونورة آل سعد، ومايسه الخليفى ، وبشرى ناصر، ووداد عبد اللطيف ، وسعاد الكوارى ، ولولوة المسند ، وحصة الجابر، وزليخة العبيدلى ، وزهرة المالكي وغيرهم .

وربما نلاحظ تفاوت إسهاماتهم في مجال الكتابة القصصية نتيجة لظروفهم الخاصة فمنهم من أسهم بنتاج كبير ومنهم من اكتفى بكتابة قصة واحدة أو قصتين ثم توقف بعد ذلك إما لأنه انصرف إلى كتابة الشعر أو المقالة أو المسرحية أو البحث العلمي وإما لأنه أحس بضآلة تجربته وعدم توافر مصادر الارتقاء والتنوع التي تحقق له الاستمرار .

والواقع أن الدافع الأساسي الذي دفعنى إلى معالجة فن القصة القصيرة في قطر هو حاجة هذا الجنس الأدبي إلى المزيد من الرؤى الفنية والدراسات الأكاديمية التي توصله في البيئة القطرية وخاصة أن الضرورة تلح على وجود كتاب نقدى يرسم الحدود ويوضح النشأة ويضيف بعض الملامح الفنية إلى جهود سابقيه .

وقد سبقت الدراسة دراسات أخرى جديرة بالأهمية منها دراسة الدكتور محمد عبد الرحيم كافود التي أعدها عن الأدب القطري الحديث وحصل بها على درجة الماجستير في الآداب وطبعت في طبعتها الأولي ١٩٧٩، وهي دراسة سعت إلى تتبع حركة الأدب الحديث في دولة قطر مستندة على ما وجد مطبوعا في المكتبات العامة وماحوته المكتبات الخاصة من مخطوطات أدبية لم تكن قد بعثت بعد .

ولما كانت النظرة شاملة على شتى فروع الأدب الحديث في قطر كان من الضروري ألا يتوقف المؤلف طويلا عند فن القصة القصيرة في قطر . وهذا ما جعل المؤلف يفرد لهذا اللون الأدبي دراسة أخرى جاءت ضمن دراستين أخريين في كتاب القصة القصيرة في قطر الذي نشر

١٩٨٥ . وفيها كشف عن رؤية نقدية جديدة وتفصيل أكثر وأبعاد فنية واضحة وعن معايشة واعية ، وقد قسم دراسته إلى فصلين كبيرين جعل الأول بعنوان الاتجاه الرومانسي ، والثاني بعنوان الاتجاه الواقعي ، ساعيا بذلك إلى تحديد مسارات واتجاهات يمكن للقصة في قطر أن تنزوى تحتها .

وثمة دراسة أخرى للدكتور ماهر حسن فهمي نشرت في حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بقطر ١٩٨٣ تحت عنوان " ملامح القصة القصيرة في الأدب القطري " ، وهي دراسة - رغم قلة صفحاتها - إلا أنها جاءت مركزة وهادفة ومحددة لعدة محاور اجتماعية وفنية دارت القصة القطرية في فلكها .

أما الدراستان الأخريان فهي دراسة د. إقبال هيكل ودراسة الدكتور حسن عيد وقد تضمنهما الكتاب السابق " القصة القصيرة في قطر - دراسة فنية اجتماعية ".

وقد تبلورت الدراسة الأولى في جزءين اهتمت الباحثة في جزئها الأول بتحديد سمات الشخصية الخليجية بوجه عام والقطرية بوجه خاص ثم أدارت محاور الجزء الثاني حول مسارات أربعة هي التمرد والقلق ، والهروب إلى الداخل، والتهويم الرومانسي، والعودة للجذور ، وقد اكتفت بمناقشة وتحليل كل قصة على حدة كنموذج تدلل به على مساراتها المتنوعة .

كما تحددت الدراسة الثانية في فصلين تناول المؤلف في أولهما أهم الملامح والسمات الرئيسية المميزة للمجتمع القطري،وناقش في ثانيهما الجوانب الاجتماعية للمجتمع القطري من خلال القصة القصيرة، وقد تم فيهما عن رؤية سوسيولوجية بحتة غير مكترث بالنواحي الفنية، ولهذا قلتّ نماذجه وانصرف إلى مناقشة نظريات علم الاجتماع وتحديد مفاهيمه المختلفة .

وينبغي الإشارة هنا إلى أن المنهج الذي اتبعته في دراستي تلك هو المنهج التكاملي الذي يجمع بين شتات المناهج الأخرى ، وفي ضوء هذا المنهج تحدد البحث في بابين كبيرين :

الباب الأول وقد تحدد في ثلاثة فصول تناولت في أولهما الإرهاصات التي عاشتها القصة القصيرة في قطر في نشأتها محدداً ذلك فيما نشر على صفحات الجرائد من ١٩٦٠ - ١٩٦٩ وفيما جمع في صورة مجموعات قصصية .

ثم أعقبت ذلك بفصل آخر يقف على أهم مظاهر التخبط الفني وتداخل المفاهيم والماهيات وعدم وجود تصور واضح يفصل بين القصة القصيرة والرواية وعدم فهم الكتاب للقواعد التكنيكية لهذا الفن بحيث أصبحنا إزاء قصص تنتهج طريقة آل عبيد في انتهاج مذهب الحقائق ، وأخرى تسعى إلى تقليد الواقع ونقله نقلا فوتوغرافيا ونوع ثالث يهتم بتحديد الصورة وأبعادها ورابعة تولى أهمية بالحدث الغامض .

أما الفصل الثالث فقد جعلته عن كتاب القصة القصيرة في قطر ملامحهم الذاتية واتجاهاتهم الخاصة وكنت حريصا على ألا أتناول في دراستي لهؤلاء الكتاب من كتب قصة واحدة أو قصتين إلا ما ندر لأن هذا لايمكن أن يشكل دعامة من دعامات الكتابة القصصية - ثم خلصت إلى تحديد سمات فردية تحدد كل كاتب على حدة .

وبعد ذلك انتقلت إلى الباب الثاني وحددته بالسمات الفنية العامة في القصة القصيرة في قطر ، وقسمته تبعا لذلك إلى أربعة فصول تناولت في أولهما صور الحدث في القصة القصيرة في قطر، وناقشت في الفصل الثاني اللغة عند مبدعى القصة القصيرة في قطر، وفي الفصل الثالث وقفت أمام نهايات القصص القصيرة في قطر، ثم جاء الفصل الرابع عن أنماط الشخصية في القصة القصيرة في قطر.

أما بعد ... فالدراسة بين أيديكم تؤكد عناء البحث والتقصي ، وقد راعيت فيها الموضوعية ما وسعنى الجهد كما جعلت رؤيتى منبثقة من معطيات النص القصصي دون أن أفرض شيئا خارجا عليه ، وحسبنا في النهاية روح المحاولة لكل عمل علمي جديد يسهم بدوره في بعث وتأصيل تراثنا العربي الخالد .

وتأبي المقدمة أن تنتهي حتى أؤكد عظيم شكري وتقديري لأساتذتي في جامعة قطر وأخص الأستاذ الدكتور ماهر حسن فهمي الذي لفحني وشملني برعايته الكريمة وأستاذيته الصادقة وتوجيهاته الطيبة وكذا الأستاذ الدكتور عبد العزيز مطر الذي يحرص بكل أمانة على متابعة نشاطي العلمي وتشجيعي بين اللحظة والأخرى لتأكيد الذات والوقوف على المسار العلمي الصحيح .

كما أخص بالشكر الدكتور محمد عبد الرحيم كافود عميد كلية الإنسانيات و العلوم الاجتماعية الذي حدّد لي البداية التي انطلقت منها بل وكان المحفز الأول الذي حدد وجهتي

نحو هذا الجنس الأدبي ودفعني إلى إضافة رؤية جديدة إلى مصاف الرؤى السابقة فله مني جزيل الشكر والتقدير .

ومن قبيل العرفان بالجميل أتقدم بأسمى آيات الشكر لزميلي الدكتور سامي جاسم المناعي رئيس الوحدة الأدبية بمركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر على إسهاماته الطيبة نحو توفير المصادر والدوريات اللازمة لهذه الدراسة خدمة منه للأدب وللجامعة فجزاه الله عنا أوفي الجزاء .

كما لايفوتني أن أسجل تقديري أيضا لزميلي الدكتور على الكبيسي رئيس الوحدة اللغوية بمركز الوثائق لما أحاطني به من حب وإخلاص أسهما في توفير المناخ النفسي الملائم الذي يحقق الدافعية المطلوبة للبحث العلمي.

هذا وبالله التوفيق ؛

الباب الأول
نشأة القصة القصيرة في قطر ، وأعلامها

الفصل الأول : إرهاصات القصة القصيرة في قطر

الفصل الثاني: تداخل المفاهيم والماهيات في كتابة القصة القصيرة في قطر

الفصل الثالث: أعلام القصة القصيرة في قطر

الفصل الأول
إرهاصات القصة القصيرة في قطر

أولا : قصص منشورة في الدوريات القطرية من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٩.

بدأ كتاب القصة القصيرة في قطر مقلدين للقصة العربية في مصر، ولهذا لم تخرج بواكير الفن القصصي في مراحلها الأولى عن فلك التقليد والمحاكاة وهذا أمر طبيعي ليس فيما يخص القصة القصيرة في قطر وحدها بقدر ما غدت المسألة أكثر اتساعا وشمولاً وتخص الآداب بصفة عامة في أي زمان وفي أي مكان..

وقد ارتبطت البدايات القصصية المنشورة في تلك المرحلة الريادية الأولى بظهور بعض النشرات والمجلات الخاصة في قطر والتي جعلت جزءاً يسيرا من اهتمامها متجها نحو متابعة ونشر بعض المحاولات الأدبية الشابة في مجالات متنوعة ، وكان فن القصة واحداً من تلك الميادين وإنْ كنا لانستطيع القطع بأن جميع الإبداعات القصصية التي نشرت - وقتئذ - كانت لكتاب قطريين باستثناء محاولة سعيد حمد السليطي ، ولكننا آثرنا أن نرصدها لنتعرف على طبيعة الإرهاصات الأولى التي دفعت بالساحة الأدبية إلى تبنى مثل هذا اللون الفني .

إن قصة اليتيم للكاتب " عيسى منصور " تعد من أوائل القصص التي نشرت على صفحات "مجلة أخبار شركة نفط قطر "(١) حيث جاءت في عددها الأول الذي صدر في أيار ١٩٦٠.

والقصة - كما يتراءى للباحث - تكاد تفتقد إلى المقومات الأساسية لهذا الفن ، ومن ثم يمكن درجها تحت إطار الحكاية الوعظية التي تتخذ من الأسلوب المباشر والسرد الحكائي سبيلا إلى توصيل الفكرة الأساسية ، دون اكتراث بعناصر التصوير والتعقيد والتحليل والتلميح وغيرها من عناصر التشكيل الفني والجمالى في القصة القصيرة .

أما من حيث المحتوى الفكرى فهى تحكى قصة "معاوية " الذي فقد أباه وأصبح مسئولا عن رعاية أمه وإخوته الصغار وتوفير سبل الحياة الكريمة لهم ، ولم يكن أبوه ذا جاه

أو ثراء إذ لم يخلف له سوى قطعة أرض كان يتعهدها ويعيش على خيراتها .

وبدأ الشاب يعتمد على ساعديه في شق الأرض وبذر البذور ولكنه نسى أن هناك طرفاً آخر من المعادلة لاتستقيم الحياة ولاتستمر إلا به وهو مبدأ التوكل على الله ، وعندما يصل إلى درجة اليقين والاعتقاد الكامل بهذا الأمر ، يستيقظ من منامه وقد هطلت السماء وارتوت الأرض وأثمرت من كل زوج بهيج .

وربما يدرك القارىء للوهلة الأولى أن القصة سيقت في أسلوب تقريرى يعتمد على الاقتباس من القرآن والتأثر بأسلوبه في مجال الوصف ، هذا إلى جانب عدم توظيفها للحلم توظيفا فنيا دقيقا بما يخدم الحدث القصصي ويسهم في بلورته وتطوره .

كما أنها لم تخل من التدخلات الخارجية للكاتب ومحاولة الربط بينه وبين متلقيه من خلال هذه الكلمات التي أنهى بها قصته : "فإن أردت أن ترى حياة القناعة والرضى بل حياة البساطة والهناء فعرض على ذلك البستان الصغير ، وسرْ بين تلك الأشجار المثقلة بحملها حتى تصل إلى ذلك البيت الهادىء الجميل الذي يتوسط ذلك البستان ولاتتردد في زيارة الأب الصغير والتمتع بحديثه العذب والرقيق ".

ثم تلت هذه المحاولة قصة أخرى للكاتب نفسه نشرت في المجلة السابقة بتاريخ " تشرين الأول ١٩٦٥" تحت عنوان " لص في الظلام"(٢) استقاها من مهنته في دائرة الأمن ومنع الحوادث ، وهي رغم أنها تمثل لغزا بوليسيا إلا أنها صيغت صياغة فنية جيدة كما أنها جاءت خالية من الأخطاء النحوية واللغوية ومشتملة على حادثة مؤداها أن بطل القصة (نبيل) " تاجر ذهب " كان ذات يوم عائدا إلى بيته في يوم مطير وإذا به يجد رجلا يقف في زاوية الشارع مبلل الثياب ، رث المنظر ، أثارته هيئته فاقترب منه كما تقدم الرجل منه وحيّاه ثم طلب أن يرشده إلى عنوان صديق له، فاستجاب البطل وإذا به يجد أن العنوان الذي يقصده هو نفس عنوان بيته ، فاستضافه وأمسك به حتى الصباح معللا ذلك بسوء الأحوال الجوية وبعد أن أدرك أيضاً أن الرجل غريب إذ جاء من بغداد قاصداً صديقه في لبنان وليس له أحد سواه.

نام الرجل ليلته ولما بزغ ضوء الصباح قصده نبيل في حجرته فلم يجده ، فأسرع إلى خزينة بيته وهناك أدرك اختفاء حقيبته كما وجد دعوة له للمثول أمام الشرطة ، وأمام رجل

الأمن شاهد الرجل ومعه حقيبته كما عرف القصة كاملة حيث كان البوليس يراقبه خطوة بخطوة.

وينهى الكاتب قصته بحوار دار بين البطل وزوجته "ثناء" أوضح فيه تشككه منذ اللحظة الأولى في أمر هذا الرجل ، واكتشاف كذبه واحتياله منذ رؤيته للختم الذي طبع على رسالته والمؤرخ بتاريخ يتنافي مع أقواله وتصريحاته .

ولعل الدارس الفاحص لهذه القصة يلمس اشتمالها على حادثة تتطور منذ أن مهد لها الكاتب بمقدمة مقنعة ثم تتداعى بعدها جزئيات الحدث لنصل في النهاية إلى شكل جيد للقصة التقليدية التي تقوم على مقومات فنية محددة .

ومما لاشك فيه أن الكاتب قد طور نفسه في هذه القصة ، واستطاع أن يستفيد من تجارب غيره في هذا المجال حتى غدت - في صورتها الفنية - أقرب إلى قصص رواد القصة العربية في حرصها على اللغة الفصحى ، ورغبة الكاتب في الاهتمام بكل جزئيات الحادثة .

ثم توالت المحاولات بعد ذلك حيث قامت مجلة المشعل(٣) بدورها في نشر بعض القصص المترجمة وكذا بعض القصص المؤلفة وإن كانت مجهولة المؤلف مثل قصة "جناية أب"(٤) وهي قصة وعظية تصور شخصية أب سكير عاشق للسهرات الموبوءة غير مهتم بمشكلات أسرته المكونة من زوجته وابنه ، مما دعا الابن البار إلى تحمل أعباء الأسرة بعد حصوله على وظيفة كريمة ، وتمر الأحداث وتتلقى الأسرة خبر وقوع حادث أليم للأب ، فتهرع الأم إلى المستشفى وتتبادل مع زوجها نظرات التسامح والرضى حتى يفارق الحياة .

لقد كان من الممكن أن يجعل المؤلف من هذه الحادثة بداية للتصالح مع القيم الإنسانية والمبادىء الحميدة ، ولكن روح الكاتب الاصلاحية والوعظية لا تلبث أن تؤكد الجزاء الأليم لكل مجرم يغفل رسالته نحو أسرته ، ولهذا كان موت الأب مقصوداً من الكاتب بفرض الوقوف ضد هذا النمط البشري الذي يرتكب جرما كبيراً في حق المجتمع .

إن هذه القصة تشبه إلى حد كبير محاولات صالح حمدى حماد الرومانسية التي حاولت أن تقترب من الواقعية رغم اشتمالها على نبرات الوعظ والإرشاد فرحنا نرى شخوص قصصها ونشعر بهم في مآسيهم وأفراحهم .

وقبلها جاءت قصة "أمل اللقاء"(٥) أيضا على نفس الوتيرة فتعالج موضوعا حزينا بطريقة الخبر دون أن تتجاوز حدود القصة الوعظية ... هذا إلى جانب تقوقعها في إطار التقاليد الموروثة والصراعات الطبقية .

وقد بدأت القصة بمقدمة وجيزة أبرزت الناحية الإصلاحية من خلال أسلوب تقريرى خالص يقول فيها : " شاءت الأقدار أن تجمعنى به صدفة وعلى غير موعد لتربط قلبينا صداقة يندر وجودها في هذا العالم الذي طغت عليه المادة فأفسدته ، وأصبح فيه الإنسان لايقيم وزنا كبيراً للصداقة الحقيقية الصادقة فينظر لأخيه بمنظار الأنانية الفردية ضاربا بمصلحة الآخرين عرض الحائط ، متناسيا ماعليه من واجبات إنسانية نحو هذا المجتمع الذي يعيش فيه".

وبعد تقديم الكاتب لقصته يأخذ في عرض الحادثة الحزينة على لسان الراوى بضمير المتكلم فيذكر أنه التقى ذات يوم مع صديقه أحمد - الذي وفد من بلاد نائية - أمام حانوت مخصص لبيع الأحجار الثمينة . وقد وجده يديم النظر إلى عقد من اللؤلؤ "وفي عينيه دمعة وفي قلبه آهه وغصة " ، فوقف البطل بجواره يسأله عما يبكيه ، وهنا بدأ أحمد يروى قصته وكيف أن أباه - رغم فاقته وضيق حاله - آثر أن يعلمه حتى حصل على قسط لابأس به من العلم والثقافة ، أهله للحصول على وظيفة مناسبة انتقل على إثرها من الكوخ الصغير إلى أحد الأحياء الراقية في المدينة ، وفي ظل الحياة الجديدة التقى بفتاة ثرية ودخل معها في مطارحات غرامية تقدم خلالها لخطبتها ، فأبدت أسرتها موافقة مشروطة بعقد من اللؤلؤ يقدر بآلالاف الجنيهات .

وأمام الرغبة الجارفة لإتمام الزواج من المحبوبة يسافر أحمد إلى إحدى الدول النفطية، وبعدها يدرك أن الحصول على مثيل لهذا العقد يتطلب وقتا كبيرا وعملا مضنيا ، ومع هذا لم ييأس حتى جمع ثمنه، ولكن هيهات ! فقد جاء ثمنه بعد فوات الأوان إذ فوجىء برسالة تنعى إليه محبوبته ، وتقتل عنده الأمل في الحياة ، فيقرر العودة إلى وطنه رغم إلحاح الراوي ومناشدته البقاء ، وأخيراً يتم الفراق ويظل الراوي مترقبا رسالة ثانية منه حتى جاءته وقد عقد عزمه على الانتحار.

فالقصة - كما نرى - تشكل لوحة مأساوية تشبه تماما قصص المنفلوطي(٦) المغلفة

بالطابع الرومانسي الحزين في بعض مواقف الوصف والتصوير والسرد وفي الاحتفاء بالشخصيات اليائسة والضائعة وفي الاهتمام الشديد بتسليط الضوء على عنصر القدرية في سوق الأحداث وتشكيلها .

كما أنها جاءت مفتقدة لكثير من العناصر الفنية للقصة القصيرة، فهي أقرب إلى الحكاية التي لاتهتم في جزئياتها بالتحليل النفسي أو الداخلي للشخصية كما لاتولى عنايتها بالسياق ومن ثم لايتبقى لها سوى الأسلوب الإنشائى المتأثر بالأسلوب البلاغي .

ومن القصص التي حوتها مجلة المشعل أيضا قصة "صراع مع الأمواج "(٧) للكاتب "سعيد حمد السليطى " والتي يعالج من خلالها مشكة اجتماعية ظلت تؤرق الكثيرين من أبناء المجتمع الخليجي في عهودهم الماضية ، وقبل أن تحدث هذه الطفرة الاقتصادية التي غيرت الموازين والتي أسهمت بدورها في التحولات الاجتماعية والثقافية المعاصرة .

إنها تحكى قصة العجوز " غانم " الذي لم يكن يملك من حطام الدنيا شيئا ، في اللحظة التي يقوم فيها على رعاية أسرته المكونة من زوجته وابنته . ودعاه هذا الأمر إلى البحث عن " ربان رحيم " يضمه إلى بحارة سفينته ليتمكن من توفير أدنى سبل الحياة لأسرته ، أخذ في سبيل ذلك " يذرع الطرقات ويتخطى صخور الساحل ، وشمس الصيف المحرقة تصلى جسده الناحل " حتى وصل إلى المسجد القائم على ساحل البحر ومن هنا التقت نظراته بسفينة ترسو على الشاطىء، فذهب إلى النوخذا متوسلا إليه في إلحاح المحتاج الضائع أن يقبله ، فقبله بأجر زهيد ، وأبحر معه ولكن جسده الضعيف لم يستطع مقاومة الأمواج الهائلة التي أخذت تتقاذفه كالكرة - تحت صيحات النوخذا - فخارت قواه ، وانقطعت أنفاسه وأصبح فريسة للحيتان .

هكذا يصور سعيد حمد السليطى " عمل الغواص بصورة تقربه من السخرة فهو لايملك الخلاص من قيود العمل ومن أسر النوخذا حتى يلقى حتفه في البحر " (٨) ثم يشن الكاتب حملة ضارية على النوخذا مؤكدا افتقاده إلى المعانى الإنسانية والقيم النبيلة فيقول في نهاية قصته : " لم يدرك النوخذا - وغيره من أمثاله - أن بريق اللؤلؤ قد أفقده بصيرته ، وأعمى بصره عن أن يرى مشاكل غيره ولم يعلم أن طمعه وجشعه كانا وحدهما السبب في هلاك الغواص المسكين وفي نكبة أسرته الفقيرة التي كانت تنتظر

عودته بفارغ الصبر" (٩).

لعل الكاتب هنا يجسد ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وإيقاع الضرر به ولذا فالنهاية تؤكد وقوع " البطل " بين براثن فئة لايهمها سوى البريق المنبعث من حبات اللؤلؤ وهذا ما تفسره تصرفات النوخذا اتجاه غانم فلم يرحم ضعفه ولم يمهله حتى تهدأ الأمواج وإنما كانت نداءاته وزجراته تلاحقه بين اللحظة والأخرى ، ومن ثم كان الصراع -الذي تفجره القصة في زمنها الماضى القريب - صراعا طبقيا بين فئة تنبش عن آمال ضائعة وعن مجهول في قيعان البحار يضمن حياة بسيطة لها وبين فئة ترفل في النعيم والترف وتنظر إلى الحياة بمعيار واحد وهو المعيار المادى الخالص .

ولاشك أن موضوع البحر " كان شغل أغلب الخليجيين الشاغل لأنه محور شقائهم الدائم " حيث يمارسون أعمال الغوص الشاقة كالسخرة ، ويظلون أسرى لأصحاب السفن . وكثيرا ما تختطف أمواج البحر وعواصفه سفن الغوص فيقع أبناء الغواصين أسرى بدورهم في خدمة أصحاب السفن وفاء لديون آبائهم "(١٠).

وعلى الجانب الأخر نجد الفئة القليلة من أصحاب السفن ، ومدى رغبتهم ورغبة أبنائهم من بعدهم على مواصلة رحلة الكفاح والسيطرة، مثلما يظهر في القصة التي تصدرت العدد الافتتاحي لمجلة الدوحة وهي بعنوان "البحار الصغير" للكاتب على عباس (١١)، وفيها يجسد صاحبها معاناة الشخصية الخليجية وقلقها الناتج عن هدير الأمواج وصرخات الغرقى .

وقد تحكى القصة حكاية فتى صغير أراد مشاركة أبيه في رحلته البحرية بغية أن يكون النوخذا للسفينة بعد والده ، وكم كان فرحا لتحمله المسئولية وإبراز جسارته لركوب البحر .

وكما يبدو من القصة أن الكاتب حرص على استخدام تكنيك "الفلاش باك" حيث يبدأ من النهاية فيقول : " أمواج البحر ترتطم بعنف على الساحل ، ثم تنحسر عائدة أدراجها ، ومع هدير الأمواج، وصخبها عادت بي الذكريات لشهور مضت ... أذكر ذلك تماما عندما بدأ والدي يستعد للسفر من قطر ، فعزمت على السفر معه في ذلك اليوم الكبير الذي طاف به الهند والسند ".

وقد يكون هذا متاحا للكاتب القصصي ، ولكن في ضوء توافر المقومات الفنية

الأخرى التي افتقدناها ونحن نقرأ هذه القصة ، فتارة يتحول الكاتب إلى خطيب بارع فيقول: " أيها الأجداد ... كم أنا فخور بجهادكم في هذا البحر ! حاضر يا والدى سأشارك بحارتك أعمالهم، سأنزل الشراع ، سأعاون في شد الحبال " وتارة أخرى يلجأ إلى اللغة التقريرية الفجة فيقول: " عجيب أنت أيها البحر ، نطلب الرزق منك فتتمنع فإذا ألححنا في الطلب ، سالت حبات العرق من جباهنا قلت لنا خذوا ... إذاً لابد من الإلحاح ولابد من العرق " وتارة ثالثة يغلّب الجانب الوصفي على الجانب التصويرى فيتحول مايكتبه إلى إطار الصورة الوصفية التي تفتقد مقومات الفن القصصى وأسسه البنائية .

تلك بعض النماذج القصصية التي استطعت العثور عليها بعد تنقيب طويل في الدوريات القطرية الموجودة في " دار الكتب القطرية" وهي قليلة لأسباب منها :

الأول : أن الصحافة لم تأخذ دورها الفعال الممثل في المؤسسات الإعلامية الوطنية إلا بعد حصول دولة قطر على استقلالها ١٩٧١ وهو التاريخ الذي "انتهت به جميع المعاهدات المعقودة بين قطر وبريطانيا"(١٢).

الثاني: أن ما ظهر من وسائل إعلامية " صحف ومجلات" قبل ١٩٧١ كانت تميل معظمها إلى أهداف خاصة بشركاتها كما كانت في شكل "نشرة " تهدف إلى تنظيم العمل وتسجيل مراحل الانتاج ومتابعة الجديد في المجالات البحثية دون اهتمام كبير بالنواحي الثقافية .

الثالث : إدراك الباحث بوجود فجوات زمنية في النشرة أو المجلة الواحدة مما يؤكد ضياع بعض الأعداد وفقد بعض المجلات .

ثانيا : يوسف نعمة في مجموعتيه " بنت الخليج ، ولقاء في بيروت":

إن قضية الريادة في القصة القصيرة في قطر تعد من القضايا المثيرة ، وهي لاتختلف من حيث الأهمية مع الآداب الأخرى(١٣)، وقد تدعونا نحن النقاد إلى الاختلاف والتباين في وجهات النظر ، وهو أمر يجرنا إليه اختلاف المعايير المستخدمة في تحديد الرؤية الذاتية ، وخاصة أننا إزاء معيارين أساسيين هما " معيار السبق الزمني والمعيار الفني ".

وفي ضوء هذه الثنائية والتعددية يمكننا أن نعد الكاتب يوسف عبد الله النعمة أول من أسهم في بناء أدب قصصي في قطر ، إذ بدأ الكتابة القصصية منذ كان طالبا يدرس في جامعة بيروت ، وكان - وقتئذ - شغوفا بقراءة قصص وروايات إحسان عبد القدوس ويوسف السباعى.

ثم أتاحت له تطلعاته الصحفية بعد ذلك إلى متابعة هذا الفن ، ومحاولة تقليد نماذجه في الآداب الأخرى ، وقد ساعده على ذلك كثرة ترحاله ، وزيادة تجاربه وصوره المختلفة مما أثرى ذاكرته بهذه اللقطات المنتزعة من واقع تجواله بين دول العالم .

وكان الكاتب حريصا على نشر هذه المحاولات الأولى ، فجاءت "بنت الخليج " (١٤) ١٩٦٢ في صدارة الأعمال المنشورة للكاتب ، وكأول مشروع لمجموعة قصصية في قطر ، ولهذا اهتم الكاتب في مقدمتها بتسجيل أهمية هذه المحاولة لمن يأتون بعده من شباب الخليج وفتياته فيقول : " ليس كتابي هذا مجرد تأليف كتاب وملء صفحات أبدا. إن هذا بداية الطريق لشباب الخليج ، وفتياته . فأنا بدأت الطريق وعلى أصحاب الموهبة أن يمشوا معي على نفس الطريق، ولدى بلادنا مواهب كثيرة ... ولكن الجرأة والمجازفة لازالت تنقصان بعضهم "(١٥) ثم يروح مسديا النصح والإرشاد لبنات الخليج فيقول لهن :" اكتبن واشبعن هوايتكن يا بنات بلادنا وستنجحن ، وفي الوقت المناسب سوف يعلم القارىء من أنتن والمثال موجود " فسميرة بنت الجزيرة العربية واحدة من اللواتي عشن في نفس البيئة ونفس المجتمع، ولكنها لم تحبس موهبتها بين جدران البيت الأربعة وتقفل عليها الأبواب بل خرجت تكتب عن الأحاسيس والآلام التي كانت تعانيها ، وهي ضمن الجدران الأربعة ، وعن آمالها وعدتها للمستقبل المشرق "(١٦).

إذن فالمقدمة تضع المجموعة في صدارة ما نشر من قصص قصيرة في قطر ، ولكن إذا